التفسير الداخلي لجملة المفعول معه عند سيبويه

للدكتور مصطفى النحاس
قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعة الكويت

ملخص

المتتبع لسيبويه في الكتاب يلحظ انه يتحدث عن أنماط كثيرة من التراكيب ، يشكل الاسم المنصوب فيها عنصرا اساسيا ، وهذا العنصر الاساسي يتخذ دليلا على فعل مضمر أو مقدر • ووقوع الاسم المنصوب بعد الواو في هذه التراكيب يضفي عليها طابعا خاصا يجعلها تختلف عن الصورة الخارجية التي يرسمها رصفها الشكلي ، فيكون التركيب من الناحية الشكلية تركيبا اسميا ، لكن المعنى المتضمن داخل هذا التركيب هو معنى فعلي ، وما بعد الواو مفعول معه •

وقد حاول البحث ابراز هذه العملية التحويلية التي قام بها سيبويه في الكتاب عند حديثه عن الاسم المنصوب بعد الواو ، مطبقا ذلك على الأمثلة والنصوص الكثيرة التي ذكرها سيبويه •

مدخل :

هناك ظواهر كثيرة في النحو العربي يعتمد عليها في تخريج عدد كبير من الأمثلة والشواهد ، مثل :

ظاهرة الحذف والتقدير
ظاهرة الاتساع والمجاز
ظاهرة الأصل والفرع
ظاهرة الزيادة

ظاهرة الحمل على المعنى ..

وكلها ظواهر تقوم في معظم جوانبها التفسيرية على أساس عقلي ، وهذا ما عنيته بالتفسير الداخلي .

وليس القصد من عنونة البحث بهذا العنوان اضفاء صفة التحويلية على النحو العربي ، وأنه سبق المنهج التحويلي .. ولكن القصد تأكيد أن ما يسمى بالنحو التقليدي بنى في معظمه على أساس عقلي ، وكان أكثر اقترابا من الطبيعة الانسانية في دراسة اللغة .

فقد تدفع دلالة السياق المتكلم في كثير من الأحيان الى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة ، اكتفاء ببعضها الآخر ، فيكون هناك مستويان للجملة : أحدهما غير منطوق به (وهو ما يسمى بالبنية العميقة Deep Structure) والثاني منطوق به (وهي ما يسمى بالبنية السطحية Surface Structure) .

والمتتبع لسيبويه في الكتاب يلحظ أنه يتحدث عن أنماط كثيرة من التراكيب يشكل الاسم المنصوب فيها عنصرها الأساس ، وهذا العنصر المنصوب يتخذ دليلا على فعل مضمر أو مقدر .

يقول سيبويه ـ مثلا ـ في تفسير قولهم : أتميميا مرة وقيسيا أخرى : « وانما هذا انك رأيت رجلا في حال تلون وتنقل ، فقلت : أتميميا مرة وقيسيا أخرى ، كأنك قلت : أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى . فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له ، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل ، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه اياه ويخبره عنه ، ولكنه وبخه بذلك .

وحدثنا بعض العرب أن رجلا من بني أسد قال يوم جَبَلة واستقبله بعير أعور فتطير منه ، فقال : يا بني أسد ، أعورَ وذا ناب ؟ فلم يرد أن يسترشدهم ليخبروه عن عوره وصحته ، ولكنه نبههم ، كأنه قال :

أتستقبلون أعور وذا ناب ! فالاستقبال في حال تنبيهه اياهم كان واقعا ، كما كان التلون والتنقل عندك ثابتين في الحال الاول ، وأراد أن يثبت لهم الأعور ليحذروه ، (١/٣٤٣) .

فسيبويه في تحليل التراكيب الواردة في هذين النصين ، لا يقف عند وصف المواقف اللغوية ، وانما ينتقل الى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها ، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام .. « وقد هداه هذا الاتساع الى استكناه البنية الجوانية للتركيب النحوي ، (الموسى : ٨٩) فيقدر الحذف في ضوء هذا التفسير الداخلي ، ويلاحظ كيف ينصرف الاستفهام في النصين السابقين الى التوبيخ والتقرير في ضوء معطيات الموقف الاجتماعي .

ومن الملاحظ أن معظم التراكيب التي أوردها سيبويه في الكتاب للأمثلة التي يرد فيها العنصر الأساسي الواحد منصوبا كانت من الفعليات ، أو بتعبير آخر : كانت في مواقف من شأن الفعل أن يستخدم فيها ، كموقف التحذير ، والأمر ، والمصاحبة ، مثل : رأسَك والجدارَ ، أهلَك والليلَ ، امرأً ونفسَه (سيبويه ١/٢٧٤ ، ٢٧٥) .

وقد عقد سيبويه صلة بين التركيبين :

ـ ما صنعت وأخاك

ـ امرأ ونفسه

« كأنه قال : دع امرأ مع نفسه ، فصارت الواو في معنى مع ، كما صارت في معنى مع في قولهم : ما صنعت وأخاك ، (سيبويه ١/٢٧٤) والعنصر الفعلي في المثال الأول (ما صنعت وأخاك) منطوق به ، وفي المثال الثاني (امرأ ونفسه) غير منطوق به .

وفي مواطن كثيرة من الكتاب[١] ذكر سيبويه أن الاسم الذي هو

محور التقدير على أنه معمول لعامل مضمر - يجوز نصبه ورفعه ، والتركيب على النصب يؤول الى جملة فعلية ، وكثير من الأمثلة التي يجوز فيها رفع الاسم تؤول الى جملة اسمية .

وبحثنا في المفعول معه سيقتصر على الجوانب الداخلية في الجملة التي يقع فيها المفعول معه ، وبخاصة تلك التي يكون العامل فيها مضمرا أو مقدرا غير ظاهر ، لذا سنركز في هذا البحث على :

- وظيفة الواو في جملة المفعول معه
- العنصر الفعلي في جملة المفعول معه
- تقدير « كان »
- بعض الأمثلة التي أوردها سيبويه .

وظيفة الواو في جملة المفعول معه :

تدل الواو بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامها مع الكلمات الأخرى ، وبما يكون متفقا مع وجودها من علامات اعرابية - على المعنى النحوي المراد . لنلاحظ مثلا الفرق بين المفعول به والمفعول معه في كل من هذين التركيبين :

فهمت الشرح في مقابل فهمت والشرح
غنيت زيدا أغنية في مقابل غنيت وزيدا أغنية(٢)

نجد أن الفتحة بمفردها لم تغن فتيلا في تمييز المعنيين ، ولا هي والرتبة معا ، لاتحادهما في البابين ، وانما كانت الواو هي مطية المعية هنا ، فلا يفهم معنى المعية بغير الواو ، فصارت هي القرينة الوحيدة الدالة على المفعول معه ، وأصبح عدمها قرينة المفعول به .

ولما كان نصب المفعول معه على معنى مع ، فان التفسير الداخلي للتركيبين :

فهمت والشرح = فهمت مع الشرح

غنيت وزيدا أغنية = غنيت مع زيد أغنية

وقد عادل سيبويه المفعول به بالمفعول معه في هذه الحالة .

يقول سيبويه : « ومثل ذلك : ما زلت وزيدا حتى فعل أي ما زلت بزيد حتى فعل ، فهو مفعول به ، وما زلت أسير والنيل ، أي مع النيل » (١/٢٩٨) فهو مفعول معه « والواو لم تغير المعنى ، ولكنها تُعمل في الاسم ما قبلها » (١/٢٩٧) « ولو قلت : ما صنعت مع أخيك ، وما زلت بعبدالله ، لكان مع أخيك وبعبدالله في موضع نصب » (١/٣٠٠) « كأنك قلت في الأول : ما صنعت أخاك ، وهذا محال ، ولكن أردت أن أمثل لك » (١/٣٠٠) .

يريد سيبويه أن يقول :

ان واو المعية + اسم منصوب تعادل مع + اسم مجرور

فمعنى الطريقتين واحد . وهذا معنى أن « مع أخيك » في موضع نصب ، لأنه محال أن نقول : ما صنعت أخاك .

وبالمقابل في بعض أمثلة المفعول به :

فإن الواو + اسم منصوب تعادل الباء + اسم مجرور (ما زلت بزيد ..)

وفي المفعول لأجله ساوى سيبويه بين :

المصدر المنصوب ، واللام + مصدر مجرور

كما ساوى كذلك في المنصوب على التحذير بين :

الاسم المنصوب فقط أو الواو + الاسم المنصوب

مِن + اسم مجرور ، وهو ما سماه « المفعول منه » .

وهذه الموازنات التي كان يجريها سيبويه تجعلنا ندرك أنه كاد يذهب الى أن كثيرا من المنصوبات هي بدائل لمجرورات ، من مثل[٣] :

المفعول به = الباء + مجرور

المفعول منه = من + مجرور

المفعول له = اللام + مجرور

المفعول معه = مع + مجرور

المفعول فيه = في + مجرور

ويؤكد هذا كلام ابن يعيش الذي يضيف الى القائمة السابقة المستثنى بالا في مقابل المستثنى بغير ، يقول ابن يعيش (٢/٤٨) :

« كانت الواو و « مع » يتقارب معنياهما ، وذلك أن معنى (مع) الاجتماع والانضمام ، والواو تجمع ما قبلها مع ما بعدها وتضمه اليه ، فأقاموا الواو مقام مع ، ونصب الاسم بعدها ، كما في الاستثناء ، في نحو :

قام القوم غير زيد ، بنصب غير وجر زيد .

فاذا جئت بالا ، وقلت : قام القوم الا زيدا نصبت ما بعد الا » .

العنصر الفعلي في جملة المفعول معه :

عرف كثير من النحاة المفعول معه بأنه : « الاسم الفضلة المنتصب ، بعد واو بمعنى « مع » ليدل على مصاحبة معمول فعل لفظا أو معنى » (الرضى ١/١٩٤ ، وابن يعيش ٢/٤٨) .

ومعنى هذا أن وظيفة المفعول معه ، بيان أن العنصر الفعلي تم مصاحبا لشيء آخر ، أو أن أكثر من اسم اشتركا معا في وقت واحد في العنصر الفعلي ، فالمصاحبة قد تتحقق وحدها فقط ، كما في نحو :

استيقظت وأذان الفجر

فالاستيقاظ صاحب أذان الفجر ، أي حدث معه ، وقد تكون مع المصاحبة مشاركة ، كما في نحو :

حضر محمد وعليا

فمحمد وعليّ حضرا معا في وقت واحد .

ويتخذ العنصر الفعلي صورا مختلفة في التراكيب ، فقد يكون شكلا خارجيا كما في الفعل والمصدر وبعض المشتقات واسم الفعل ، وقد يكون نسيجا داخليا يحتاج الى تعمق في التراكيب الخارجية للوصول الى ما تحتها من تراكيب داخلية ..

من هنا أصبح استقاء المعنى الفعلي من تراكيب لا يدخل الفعل في نسيجها الظاهري من المهام الرئيسية التي قام بها النحويون العظام بعد سيبويه ، ممن تعقبوا التراكيب ، وقرأوا ما بداخلها . فنحو قولك : ما لك ، ما بك ، فيه مشعر قوي بمعنى الفعل ، لأن الجار والمجرور متعلق بالفعل ، أو بما فيه معناه ، ونحوه :

ما شأنك ، ما بالك

لأن « شأنك » بمعنى فعلك أو صنعتك ، فهو بمعنى المصدر الذي فيه معنى الفعل ، ومثله :

حَسْبَكَ ، وقَدْكَ ، وكَفَيْكَ ، لكونها بمعنى كفاك .

ونحو :

وَيْلاً لك ، وَيْلَك ، وَيْلٌ له ، لأن الويل بمعنى الهلاك ، وفي المصدر معنى الفعل .

. ومن ثم قالوا : حسبك وزيدا ، لما كان فيه معنى كفاك ، وقبح أن يحملوه على المضمر ـ نووا الفعل ، كأنه قال : حَسْبُكَ ويُحْسِبُ أخاك درهمٌ . وكذلك كَفَيْكَ وقَدْكَ وقَطْكَ . وأما وَيْلاً له وأخاه ، ووَيْلَه وأباه ، فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه ، كأنك قلت : أَلْزَمَهُ اللهُ وَيْلَه ، فانتصب على معنى الفعل الذي نصبه ،

فلما كن كذلك ـ وان كان لا يظهر ـ حَمَلَه على المعنى » (سيبويه ١/٣١٠) .

« وان قلت : وَيْلٌ له وأباه ، نصبت ، لأن فيه ذلك المعنى ، كما أن حَسْبُك يرتفع بالابتداء ، وفيه معنى كفاك ، وهو نحو : مررت به وأباه ، وان كن أقوى ، لأنك ذكرت الفعل ، كأنك قلت : ولقيت أباه . وأما : هذا لك وأباك ، فقبيح أن تنصب الأب لأنه لم يذكر فعلا ولا حرفا فيه معنى فعل ،حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل » (سيبويه ١/٣١٠) .

وفيما يلي بعض الأمثلة التي ذكرها سيبويه في الكتاب ، وبيان العنصر الفعلي في كل مثال :ـ

المستوى الأول (الجملة المنطوق بها)	المستوى الثاني (الجملة غير المنطوق بها)	العنصر الفعلي
١ ـ ما صنعت وأخاك	ما صنعت مع أخيك	فعل
٢ ـ لو تركت الناقة وفصيلَها مرضعها	لو تركت الناقة مع فصيلها ..	فعل
٣ ـ جاء البرد والطيالسةَ	جاء البرد مع الطيالسة	فعل
٤ ـ ما زلت أسير والنيلَ	ما زلت أسير مع النيل	فعل
٥ ـ أعجبني سيرك والنيل	أعجبني سيرك مع النيل	مصدر
٦ ـ ويلاً له وصديقَه	ويلا له مع صديقه	مصدر متروك فعله ، لكنه يدل على معنى : أَلْزَمَهُ اللهُ وَيْلَه ، سواء أكان منصوبا أم مرفوعا .
ويلٌ له وصديقَه	ويل له مع صديقه	
٧ ـ كيف أنت وقصعةٌ من ثريد	كيف (تكون) مع قصعة ..	فعل مقدر بعد كيف وما ، والغالب كون الفعل المقدر (تكون) .
ما أنت وزيدا	ما (تكون) مع زيد	
٨ ـ حسبك والضحاكَ سيف مهند	حسبك مع الضحاك سيف مهند	اسم فعل ، بمعنى يكفى .
٩ ـ فكونوا أنتم وبني أبيكم..(٤)	فكونوا أنتم مع بني أبيكم ..	

١٠- وكان وإياهـــا كحـرّان لم يفق .. وكان معها كحران لم يفق ..[٥]	فعـل فعـل
١١- أزمـــان قـــومي والجماعةَ أزمان (كان) قومي مع الجماعة كالذي[٦]	فعل مقدر ، وهو (كان)
١٢- مـــا أنـــت والسّـــيرَ في ما (تصنع) مع السير في متلف مَتْلَف ...[٧]	فعل مقدر ، وهو (صنع)

ويلاحظ أن المنطوق لم يتغير في أمثلة سيبويه ، ولكن الذي تغير ارادة العطف أو ارادة التقدير • والتقدير هنا هو ما يسميه التحويليون : البنية العميقة •

هذا ، وقد نقل الرضي في شرح الكافيـة (١/١٩٧ ، ١٩٨) بعض أمثلة سيبويه :

ما لك وزيدا

ما شأنك وزيدا

ما شأن زيد وعمرا

وذكر أن ما بعد الواو في هذه الأمثلة قد ينصب من أربعة وجوه :

١ ـ الأكثرون على أنـه بالفعـل المدلول عليـه بـ « ما شأنك » و « مالك » ، أي : ما تصنع ، وذلك لأن « ما » طالبة الفعـل لكونها استفهامية ، وبعدها الجـار أو المصدر ، وفيهما معنى الفعل ، فتظافرا على الدلالة على الفعـل ، ومن ثم امتنع في الاختيار :

هذا لك وأباك

لفوات « ما » الاستفهامية •

٢ ـ وقال سيبويه : تقديره :

ما شأنك وشأن ملابستك زيدا

ما لك ولملابستك عمرا

ما شأن زيد وملابسة عمرا

فهو مفعول المصدر المقدر •

قال السيرافي : هذا تقدير معنوي ، لا يخرج ذلك عن معنى :

ما صنعت وما تصنع ، لأن هذه ملابسة أيضا ، يعني أن سيبويه لا يريد بتقدير ملابستك أن الاسم منصوب بهذا المصدر المقدر ، لأن المصدر العامل مع معموله كالموصول وصلته ، ولا يجوز حذف الموصول مع بعض صلته وابقاء البعض الآخر ..

وانما قدر سيبويه بهذا لتبيين المعنى فقط ، لا لأن اللفظ مقدر بما ذكر .

قال الأندلسي : بل أراد أن المصدر المقدر هو العامل ، وانما جاز ذلك ههنا لقوة الدلالة عليه ، لأن « مالك » و « شأنك » اذا جاء بعدهما نحو « وزيدا » دل على أن « الانكار » انما هو لملابسة المجرور لذلك الاسم ، ولاسيما أن الواو بمعنى « مع » تؤذن بمعنى الملابسة .

٣ ـ وقال الأندلسي : يجوز أن يكون النصب بـ « كان » مقدرة ، كما في : ما أنت وزيدا ، أي : ما كن شأنك ، وما كان لك .

٤ ـ وقال السيرافي وابن خروف : الاسم منصوب بـ (لابس) كأنك قلت : ما لك لابست زيدا ، والواو دال على معنى : لابس .

يقول الرضي (١/١٩٨) : « وانما ارتكبا هذا تفاديا مما لزم سيبويه الاسم بها ، اذ لا يصح الجمع بين الواو وذلك الفعل المقدر » .

الاسم بهذا ، اذ لا يصح الجمع بين الواو وذلك الفعل المقدر » .

ويلاحظ على هذه الأوجه الأربعة التي ذكرها الرضي :

ـ أن الكل متفق على جواز النصب بعد الجار والمجرور (مالك وزيدا) وبعد المصدر (ما شأنك وزيدا) ، (ما شأن زيد وعمرا) لما يحملانه من معنى الفعل ، وبخاصة بعد دخول (ما) الاستفهامية عليهما ، لأن الاستفهام يطلب الفعل .

ـ أن هذه الأوجه « لا تمثل خلافا بين النحويين حول المبدأ العام ، أعني استقاء الفعلية من الاسمية ، بل هي بيان للكيفية التي تبناها كل فريق لاصطياد هذا المعنى الفعلي الداخلي من تركيب اسمي صرف ، (شرف الدين أ ـ ٧٧) .

فالأكثرون ، وهم البصريون ، حولوا ما قبل الواو الى فعل ، فآل المثل لديهم (مالك وزيدا) الى (ما صنعت وزيدا) .

والسيرافي وابن خروف حولا الواو الى فعل اعتمادا على معنى (لك) أو (شأنك) فآل المثل عندهما الى : ما لك لابست زيدا .

والأندلسي عامل (ما لك وزيدا) و (ما شأنك وزيدا) معاملة : « ما أنت وزيدا » و « كيف أنت وقصعة من ثريد » وهما يتضمنان معنى (كان) ، فينصب ما بعد الواو معهما على المفعول معه ، لتحقق شرطه ، وهو سبقه بفعل أو ما هو في معنى الفعل .

أما سيبويه فالمعنى الفعلي الذي قدره هو المصدر ، وهذا المصدر عمل النصب في الاسم بعد الواو ، لأنه لا يجوز جر هذا الاسم عطفا على الضمير المجرور بدون اعادة الجار[٨] ، كما لا يجوز رفعه عطفا على « شأن » لفساد المعنى ، فلم يبق الا النصب على التقدير السابق . يقول سيبويه (١/٣٠٧) : « قولك : ما لك وزيدا ، وما شأنك وعمرا ، فانما حد الكلام ههنا : ما شأنك وشأن عمرو ، فان حملت الكلام على الكاف المضمرة فهو قبيح ، وان حملته على الشأن لم يجز ، لأن الشأن ليس يلتبس بعبدالله[٩] ، وانما يلتبس به الرجل المضمر في الشأن ، فلما كان ذلك قبيحا حملوه على الفعل فقالوا :

« ما شأنك وزيدا ، أي ما شأنك وتناولك زيدا »

ومع تفاوت النحاة في الطريقة التي يستمد بها المعنى الفعلي من

التركيب الاسمي ، أهو قبل الواو ، فـ (مالك وزيدا = ما صنعت وزيدا) على طريقة البصريين .

أم بعدها ، فـ (ما شأنك وعمرا = ما شأنك وتناولك عمرا) على طريقة سيبويه .

أم محل الواو ، فـ (مالك وزيدا ـ مالك لابست زيدا) على طريقة السيرافي وابن خروف ـ فانهم اجمعوا على كمون هـذا المعنى الفعلي في التركيب الاسمي ، وان وجود الاستفهام قوى جانبه وساعد على اظهاره .

ويلاحظ ان المعنى الفعلي في هذه التراكيب ذاتي مستنبط من مضمون الجر والمجرور (مالك ..) او المصدر (ما شأنك ..)

أما عند الأندلسي فالمعنى الفعلي ليس ذاتيا ولا مستنبطا من الجار والمجرور أو المصدر ، وانما هو فعل الكون (كان) المضمر قبل واو المعية .

ولذا لا يجوز النصب ان عدم الاستفهام ، فقول العرب :

« أنت وشأنك ، وكل امرىء وضيعتُه ، وأنت أعلم وربُّك ، وأشباه ذلك ، فكله رَفْع لا يكون فيه النصب ، لأنك انما تريد أن تخبر بالحال التي فيها المحدَّث عنه في حال حديثك ، فقلت :

أنت الآن كذلك

ولم تُرد أن تجعل ذلك فيما مضى ، ولا فيما يستقبل ، وليس موضعا يستعمل فيه الفعل . وأما الاستفهام فانهم أجازوا فيه النصب ، لأنهم يستعملون الفعل في ذلك الموضع كثيرا » (سيبويه ١/٣٠٥ ، ٣٠٦) .

تقدير « كان » :

مر بنا النموذج التركيبي :

ما أنتَ وزيدا

وهو يتكون من :

أداة استفهام + ضمير + واو المعية + اسم منصوب

وليس في هذا التركيب ما يشعر بمعنى الفعل ، ولذا يقدر النحويون فعل الكون بعد أداة الاستفهام لتفسير نصب الاسم بعد واو المعية .

« ومن يقرأ تخريج سيبويه لأمثلة هذا التركيب يكاد يعتقد أن الأصل فيها ذكر (كان) أو (يكون) ثم تخفف العرب منهما لكثرة استعمالها في هذا الموضع ، والشيء اذا كثر وقوعه في موضع جاز حذفه تخفيفا ، وصار كأنه منطوق به ... » (شرف الدين أ - ٨٣) .

يقول سيبويه (١/٣٠٣) : « وزعموا أن ناسا يقولون : كيف أنت وزيدا ، وما أنت وزيدا ، وهو [أي النصب] قليل في كلام العرب ، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف) ولكنهم حملوه على الفعل ، على شيء لو ظهر حتى يلفظوا به لم ينقض ما ارادوا من المعنى حين حملوا الكلام على (ما) و (كيف) ، كأنه قال : كيف تكون وقصعة من ثريد ، وما كنت وزيدا لان كنت وتكون يقعان هنا كثيرا ، ولا ينقضان ما تريد من معنى الحديث ، فمضى صدر الكلام وكأنه قد تكلم بهما » .

فذكر (كان) هو الأصل ، ثم اعترى هذا الأصل تغيير بالتخفف من (كان) لان المعنى على حذفها وعلى ذكرها واحد .

« وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم ينشد هذا البيت نصبا :

أتوعدني بقومك يابن حَجْل
أشابات يخالون العبادا
بما جمّعت من حَضَنٍ وعمرو
وما حَضَنٌ وعمرو والجيادا(١٠)

وزعموا أن الراعي كان ينشد هذا البيت نصبا :

أزمـان قومي والجماعـةَ كالذي
منع الرّحالة أن تميـلا مَميلا[1]

كأنه قـل : ازمان كن قومي والجمـاعة ، فحملوه على كـان ... ، (سيبويه ١/٣٠٤ ، ٣٠٥) .

ويلاحظ أن التركيب الجملي في هذا البيت يختلف عن التركيب في (ما أنت وزيدا) ، لان الاسم هنا ظاهر ، ولم يسبق باستفهام .

وقد عقد سيبويه موازنة بين التركيبين :

كيف أنت وقصعةَ من ثريد
أنت وشأنُك

من حيث ان التركيب الأول يمكن أن نقدر فيه (كان) أو (يكون) لأن نصب ما بعد الواو فيه جائز . أما التركيب الثاني فلا يمكن أن نقدر فيه فعل الكون ، لان ما بعد الواو ليس فيه الا الرفع ، فالتركيب الاول يتضمن معنى فعل ، وليس كذلك التركيب الثاني .

يقول سيبويه ١/٣٠٥ : « فكله رفع لا يكون فيـه النصب ، لانك انما تريد أن تخبر بالحال التي فيها المحدث عنه في حال حديثك ، فقلت : أنت الآن كذلك . ولم ترد أن تجعل ذلك فيما مضى ولا فيما يستقبل ، وليس موضعا يستعمل فيه الفعل » .

وفي موضع آخر يقول : « انما أجرى كلامه على ما هو فيه الآن ، لا يريد كان ولا يكون » (سيبويه ١/٣٠٤) .

ويفهم من هذا أن تراكيب الجملة الأسمية الخالصة ، أي التي يرفع طـرفاها أو ما عطف عليهمـا تستعمل للدلالة على الحال ، أما تراكيب (كان أو ويكون) صريحة أو متضمنة ، فتستعمـل للدلالة على الماضي والمستقبل .

فتركيب : ما كنت وزيدا ، فعلى صريح ، فيجب نصب ما بعد الواو فيه ، فهو يشبه : ما صنعت وزيدا .

« والتخفف من كان » يفتح الباب أمام احتمالين :

أولهما : رفع ما بعد الواو على ان الجمله قبله مبتدا وخبر ، اي اسمية خالصة ، فيقال : ما انت وزيد .

ثانيهما : نصب ما بعد الواو على تقدير « كان » أو بعبارة ادق على تقدير استصحاب « كان » فيقال : ما انت وزيدا .

والتخفف من الفعل ، ونصب الاسم بعد حذفه استصحابا لـه ، أو رفعه على الابتداء والخبر قصدا للدوام والثبوت ـ له امثلته الكثيرة في تراكيب اللغة العربية .. » (شرف الدين أ ـ ٨٧) .

ومن ذلك قولك : حمدا وشكرا لاكفرا وعجبا ... وانما ينتصب على اضمار الفعل ، كأنك قلت : أحمد الله حمدا ، وأشكر الله شكرا .. وانما اختزل الفعل ههنا ، لأنهم جعلوا هذا بدلا من اللفظ بالفعل .. وقد جاء بعض هذا رفعا يُبتدأ ثم يُبْنى عليه .. » (سيبويه ١/٣١٨ ، ٣١٩) .

ويمكن في ضوء هذا أن نفسّر قول العرب :

أمـا انت منطلقـا انطلقـت

وقول عباس بن مرداس :

أبا فراشـة أمّا أنت ذا نفـر

فان قومي لم تأكلهـم الضبع

بنصب (منطلقا) و (ذا نفر) مراعاة لـ (كان) المحذوفة .

الرفع بعد واو المعية :

ومن أمثلة سيبويه للواو بمعنى مع :

١ ـ شأنَك والحجَّ

٢ ـ امرأً ونفْسَه

٣ ـ أنت وشأنُك

٤ ـ أنت أعلمُ ومالُك

٥ ـ كلَّ رجل وضيعتُه

٦ ـ وما أنت وعبدُ الله

٧ ـ كيف أنت وقصعةٌ من ثريد

٨ ـ ما شأنك وشأنُ زيد

فما بعد الواو في المثالين الأولين منصوب على أنه مفعول معه ، وما قبل الواو منصوب على الاغراء ، وجاء بدلا من اللفظ بالفعل « كأنه قال : عليك شأنَك مع الحج .. ودع أمرأً مع نفسه ، فصارت الواو في معنى (مع) ، كما صارت في معنى (مع) في قولهم : ما صنعت وأخاك » (سيبويه ١/٢٧٤) فالواو لم تسبق بفعل ولا بشبهه في اللفظ ، لكنها في قوة المسبوق بهذين في التقدير ، وعليه فما بعدها مفعول معه .

والواو في الأمثلة الأخرى بمعنى (مع) لكن ما بعدها مرفوع عطفا على الاسم قبلها « وانما فرق بين هذا وبين الباب الأول ، لأنه اسم ، والاول فعل ، فأُعمل » (سيبويه ١/٣٠٠) .

ومعنى هذا أن الواو التي بمعنى (مع) ينصب ما بعدها على أنه مفعول معه ان سبقت بفعل أو شبهه لفظا أو تقديرا ـ كما في المثالين الأولين ـ ويرفع ما بعدها عطفا على المبتدأ ان سبقت بمبتدأ أو بكيف أو ما الاستفهاميتين ـ كما في الأمثلة الأخرى ـ وان كان يجوز مع الامثلة الثلاثة الاخيرة النصب على تقدير (كان) محذوفة ، وهو ـ أي النصب ـ قليل كما سبق .

ومن كلام سيبويه في الرفع (١/٣٠٠) : « ولو قلت : أنت وشأنُك ، كنت كأنك قلت : أنت وشأنك مقرونان ، وكل امرىء وضيعتُه مقرونان ، لأن الواو في معنى (مع) هنا ، يعمل فيما بعدها ما عمل فيما قبلها من الابتداء والمبتدأ .

ومثله : أنت أعلم ومالُك ، فانما أردت : أنت أعلم مع مالك . وأنت أعلم وعبدُ الله ، اي : أنت أعلم مع عبدالله .

ويمكن تلخيص موقف الاسم بعد الواو عند سيبويه في الآتي :

ما قبل الواو	ما بعد الواو
فعل أو شبهه	النصب مفعولا معه
تحذير أو اغراء	النصب مفعولا معه
مبتدأ (ضميرا أو اسما ظاهرا)	الرفع حملا على المبتدأ
معنى فعلي (ما أو كيف)	الرفع كثيرا ، والنصب قليلا

وان كنت أرى أن نصب الاسم في النموذج التركيبي :

ما أو كيف + ضمير + و + اسم منصوب

أقوى منه في النموذج التركيبي :

ما أو كيف + اسم ظاهر + و + اسم منصوب

لوجود الاستفهام والضمير في الأول ، وهذا مما يقوّى معنى الفعلية والاضمار .

وقبل أن تترك سيبويه ينبغي تأكيد ما سبق ، من أن معظم هذه التراكيب التي عرضها سيبويه كان يدور في فلك المعنى ، الذي أضفى على التركيب طابعا يختلف عن الصورة الخارجية التي يرسمها وصفه الشكلي ، فالتركيب كله من الناحية الشكلية تركيب اسمي ، ليس الفعل عنصرا فيه ، لكن المعنى المتضمن داخل هذا التركيب هو معنى فعلي . أو يمكن أن

نقول : ان التركيب الخارجي ينتمي لنمط رصفي معين ، على حين ينتمي التركيب الداخلي لنمط آخر • وهذه العملية التحويلية التي قام بها سيبويه تقدم فكرا نحويا مختلفا تماما عن فكر كتب النحو الأخرى •

وقد اكتفى سيبويه في هذه التراكيب بالمعنى الفعلي ، « فان العرب تخففت فيها من الأفعال اكتفاء بالعمل أن تلفظ بفعله ••• أو استغناء بما يرون من الحـال ••• أو لكثرته في كلامهم حتى صـار بمنزلة المثل » (سيبويه ١/٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠) •

الهوامش :

١ ـ ينظر ـ مثلا ـ الجزء الاول / الصفحات : ٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ •

٢ ـ ينظر : حسان ، تمام : اللغة العربية ، معناها ومبناها ـ القاهرة ١٩٧٣/ص٢٢٥ •

٣ ـ ينظر : شرف الدين ، محمود عبدالسلام : جملة الفاعل بين الكم والكيف ـ القاهرة ١٩٠٨/ص١٨٨ ، ١٨٩ •

٤ ـ البيت :

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال

العيني ٣/١٠٢ وابن يعيش ٢ : ٤٨ ولم ينسب فيهما ، وكذا لم ينسب في مجالس ثعلب ١٢٥ وهمع الهوامع ١/٢٢١ • يحضهم على الائتلاف والتقارب في المذهب ، وضرب لهم مثلا بقرب الكليتين من الطحال ، واتصال بعضهما ببعض (الكتاب ١/٢٩٨) •

والشاهد فيه : نصب (بنى) على المفعول معه بالفعل قبلها •

٥ ـ البيت :

وكان واياها كحران لم يفق عن الماء اذ لاقاه حتى تقددا

وهو لكعب بن جعيل كما نسبه الشنتمري • يقول : كان غرضـا اليهـا ، فلما لقيها قتله الحب سرورا بهـا • والحران : الشديد العطش • لم يفق عن الماء ، لم يقلع عنه لشدة عطشه • تقدد : انقد بطنه وتشقق من شدة الامتلاء (الكتاب ١/٢٩٨) •

والشاهد فيه : « واياها » في محل نصب على المفعول معه ، بالفعـل قبلها •